مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 50 السنة: 2020

# الإثنوغرافيا الكولونياليّة و اختراق الفضاء القبلي للشّرق الجزائري
# من خلال أعمال بعض العسكريين الفرنسيين" شارل فيرو انموذجا"

**Colonial ethnography and the pénétration of the tribal space of eastern Algeria through the work of some French soldiers "Charles Feraud as an example"**

**د. فارس كعوان**[1]

جامعة محمد لمين دباغين- سطيف 2
Fares_kaouane@yahoo.fr

تاريخ الوصول :2019/02/06 القبول: 2020/05/12 /النشر على الخط: 2020/06/15
**Received**: 06/02/2019 / **Accepted**: 12/05/2020 / **Published online** : 15/06/2020

## ملخص:

أخذت الإدارة الكولونياليّة على كاهلها منذ انتصابها بالجزائر، النّظر في عدد من جوانب المجتمع الجزائري لسبر أغواره، وفهم خصوصياته الاجتماعيّة والثّقافيّة، بغية اختراقه، متّكئة على الدّراسات التي أنتجتها **الأنثروبولوجيا العسكريّة** التي قام بها عدد من الضبّاط، ضمن ما يُعرف **بالأعمال الإثنوغرافيّة**، و تندرج أعمال الضابط **شارل فيرو** في هذا الإطار.

ونحاول في هذا المقال رصد أعمال هذا الضابط- شارل فيرو- و تشريحها، من خلال التّركيز على إسهاماتها في اختراق الفضاء القبلي بالشّرق الجزائري، على اعتبار أنّ هذا الأخير قد قام بانجاز مجموعة من الدراسات الإثنوغرافيّة حول أقاليم الشّرق الجزائري، مستفيدا من درايته باللّهجات الجزائريّة و تفسّخ البنية القبلية خلال هذه المرحلة.

**الكلمات المفتاحية:**الإثنوغرافيا الكولونياليّة/ الفضاء القبلي/ الشّرق الجزائري/شارل فيرو.

## Abstract:

Since its installation in Algeria, the colonial administration has controlled the various aspects of Algerian society to obtain a better exploration according to its social and cultural specificities in order to penetrate it, and this is based on the works written by officers in the framework of ethnological work, including the work of the officer Charles Féraud.

We propose in this article to analyze the work of this officer - Charles Feraud -, focusing on his contributions to the penetration of the tribal space in eastern Algeria.

**Keywords:**
Colonial Ethnography / Tribal Space / East of Algeria / Charles Feraud.

[1] المؤلف المرسل: فارس كعوان البريد الإلكتروني: fares_kaouane@yahoo.fr

## 1. مقدمة:

تعددت الدراسات الاثنوغرافية الفرنسية حول المجتمع الجزائري واختلفت قيمتها حسب قيمة ومكانة كاتبها، وكان الضباط اقرب الناس للتعرف عن قرب على طبيعة المجتمع الجزائري ومختلف التغيرات التي مسته، وفي هذا الاطار نجد دراسات الاثنوغرافيين العسكريين تتمتع بقيمة مميزة عن بقية الدراسات اذ اتيح لهم الاطلاع على ما لم يطلع عليه غيرهم، وسنحاول في هذه الدراسة التعرف على قيمة دراسة اهم الاثنوغرافيين الفرنسيين في بداية الاحتلال وهو الضابط شضارل فيرو الذي اهله اتقانه للعربية وعدد من اللهجات العامية الجزائرية التعرف على احوال مجتمع الشرق الجزائري وخصوصا في الفضاء القبلي، والاشكالية التي نطرحها هنا : الى أي مدى ساهمت اعمال هذا الضابط في تسهيل عمليات الاختراق الفرنسي لهذه الفضاءات القبلية؟

## 2.مسار الضابط شارل فيرو: إثنوغرافي في خدمة المشروع الكولونيالي:

ولد لوران شارل فيرو في مدينة نيس بالجنوب الفرنسي في 5 فبراير 1829 وكانت مدينة نيس حينذاك تابعة لمملكة بيدمونت الإيطالية، ولكن فيرو اختار أن يكون فرنسيا، وانخرط مبكرا في الجيش الفرنسي[1]، فهو ابن ضابط في البحرية، و حفيد العسكري الفرنسي فيرو الشهير أخ أحد أعضاء حكومة الاتفاق في عهد الثورة الفرنسية[2]

زاول شارل فيرو دراسته في ثانوية طولون، ثم سافر للجزائر عام 1845 في سن 16 سنة، و بدأت وظيفته داخل المصالح الاستعمارية العسكرية بالجزائر، وانخرط في البداية ككاتب مساعد في الإدارة المدنية الجزائرية، وفي 20 ديسمبر من نفس السنة عمل في المفوضية المدنية بشرشال، و تعلم اللغة العربية بسرعة فائقة، وصار مترجما منذ سنة 1848 .[3]

أُرسل فيرو لبجاية في 20 جويلية 1848 كمترجم مفوض مدني مُكلف بتنظيم الإدارة في هذه الدائرة، وفي سنة 1849 قام الجنرال سانت آرنو باصطحابه في حملته على بلاد القبائل، وصار شارل فيرو منذ ذلك في سلك المترجمين العسكريين، ثم ألحق بالعقيد **Wengi** ببجاية أين شارك مع العسكريين الذين كانوا رفقة هذا العقيد في معارك ضد الثوار من أنصار بوبغلة.

وفي 1 أوت 1850 أصبح مترجما عسكريا مساعدًا من الدرجة الثانية، ثم ملحقا بالقيادة العليا لقسم بجاية من الدرجة الأولى في 24 يناير 1853، و من الدرجة الثانية في 16 أوت 1857 .

وفي مارس 1851 كان ضمن القوات الفرنسية التي كانت تتوسع في القبائل الصغرى، وفي يناير 1852 شارك فيرو في حملة ضد القبائل مع الجنرال بوسكي، وفي جويلية من العام الموالي " 1853 " شارك مع الجنرال **Maissiat** في حملة على سطيف كما شارك مع راندون في حملة على البابور.

وفي سنة 1854 التحق بخدمة الجنرال ماك ماهون الذي كان حينها قائد مقاطعة قسنطينة، ومنذ ذلك التاريخ حافظ على منصبه كمترجم عسكري في إقليم قسنطينة حتى سنة 1872 ثم عُيّن بعدها مترجما للحكومة العامة بالجزائر منذ 19 فبراير 1872.

وفي نهاية 1854 في حملة ضد الواد الكبير مع الجنرال **Gastu** وفي 1859 من زواغة مع الجنرال **Lefebvre** وفي 1860 من القبائل الشرقية مع الجنرال **Dexvaux** [1]

[1] - Nora Lafi : Présentation des annales tripolitaine, édition Bouchéne, Paris 2005, p 8.
[2]- L. Paysant :Un Président de la Société Historique algérienne: Laurent Charles Féraud, in Revue Africaine, Tome LV - n° 280, 1er trimestre 1911 pp. 5-15.
[3] - Nora Lafi :Opcit,p

وفي سنة 1855 عين فيرو في قسنطينة مترجما رسميا من الدرجة الثالثة لدى الجنرال قائد الناحية وظل بقسنطينة مدة 15 سنة أنجز خلالها مهاما إدارية وأبحاثا تاريخية هامة.[2]

سار فيرو في نفس السنة 1860 مع الجنرال **Périgot** ضد منطقة القبائل، وفي 18 فبراير 1860 تقلد فيرو وسام فارس جوقة الشرف، و في 24 أوت 1874 حاز على وسام الوردة للضابط نتيجة لجهوده، و قد أنهى فيرو مساره العسكري برتبة عقيد و حامل لدرع.

تزوج شارل فيرو سنة 1861 بقسنطينة فتاة تدعى **Françoise Adélaïde Sicard** أنجب منها فتاتين وولدا صار فيما بعد الجنرال أوجين فيرو.

كان لفيرو موهبة غير عادية في اللغة العربية، ساعدته على دراسة التاريخ وشكّلت عاملا هاما في نجاح مهامه الدبلوماسية فيما بعد في كل من طرابلس الغرب والمغرب.

ومكّنته معرفته بعدد من لهجات الشرق الجزائري وبتاريخ أولئك الذين يتحدثونها من النجاح في مهام جد متنوعة، في التحقيقات والمهام الدبلوماسية لدى قادة القبائل الجزائرية، وقد تعرّف على مجرى واد الساحل في يناير 1854 وحاول تعطيل حركة الثورات الجزائرية التي بدت ملامحها بعد انطلاق الجيش الفرنسي للمشاركة في حرب القرم، والحرب ضد منطقة القبائل.[3]

وفي سنة 1876 اختير لرئاسة الجمعية التاريخية الجزائرية وبالتالي تولي الإشراف على مجلتها المشهورة المجلة الإفريقية في الفترة ما بين 1876-1878 [4]، كما كان أيضا من الأعضاء الشرفيين المنتخبين لمجلة أكاديمية هيبون التي كانت تصدر في عنابة.[5]

أقام فيرو في ليبيا وزار طرابلس وبنغازي، ومنذ ذلك الوقت بدأت السلطات العسكرية التفكير في تعيينه قنصلا في طرابلس بدعم من حاميه الجنرال شانزي .

وبعد صعوبات كثيرة وصل قرار تعيينه في 7 نوفمبر 1878 ووصل هو لطرابلس في بداية عام 1879 وتوجّب عليه المكوث فيها حتى 4 نوفمبر 1884 بصفته أولا قنصلا ثم قنصلا عاما.

وفي 3 ديسمبر 1883 -وكان حينذاك قنصلا عاما في طرابلس- حاز فيرو من جديد على وسام جوقة الشرف، وهذه المرة كان له الحق في أن يصنف ك"فارس آمر" نتيجة للخدمات التي أسداها لبلاده بفضل تيقظه وتبصره بعين دبلوماسية للحوادث التي كانت تجري في طرابلس في ذلك العهد.

ومنذ سنة 1883 أثيرت ضجة كبيرة حول تعيين محتمل لشارل فيرو في منصب دبلوماسي جد هام في المغرب، وتم هذا الأمر وغادر فيرو طرابلس في 4 نوفمبر 1884 و مكث بالمغرب أربع سنوات وتوفي هناك في 19 ديسمبر1888. [6]

---

[1] - Mohamed A. El-Wafi : Charles Féraud et la Libye, ou portrait d'un Consul de France à Tripoli au XIXe siècle (1876-1884), ed. Dar al-Farjani, Tripoli, 1977,p 110.
[2] - Nora Lafi :Opcit,p
[3] - Bernard Merlin : Laurent-Charles Féraud, peintre et témoin de la conquête de l'Algérie, Editions Monelle Hayot, 2010, p 109-111 .
[4] - Mohamed A El-Wafi : Charles Féraud et la Libye, Opcit, p 111.
[5] - Bulletin de l'académie d' Hippone, année 1883, p 5.
[6] -M. El wafi, ouvrages, écrits et articles de Laurent Charles Féraud ( Charles Féraud et la Libye) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIXe siècle ( 1876-1884) Imprimé par Interprint ( Malta) Ltd , Malte. 1977. PP:171-172.

والملاحظ أن أغلب أعمال الضابط شارل فيرو متعلقة بإقليم الشرق الجزائري وتاريخ قبائله ومدنه، وهي أعمال أنجزها ميدانيا بالاتصال بقادة الأهالي ومشايخهم الذين زودوه بوثائق هامة ونادرة جعلت دراساته تأخذ ميزة فريدة رغم تحاملها مرات عديدة، ورغم محاولة تفسير عدد من الحوادث التاريخية بما يصب في خدمة السياسة الفرنسية وعملياتها التوسعية .

وقد ظلت هذه الأعمال دون ترجمة ودراسة نقدية عدا عمله " الحوليات الليبية" الذي قام بترجمته المؤرخ الليبي الدكتور محمد عبد الكريم الوافي[1] والعمل الثاني وهو "تاريخ جيجل" الذي قام بترجمته ونشره عبد الحميد سرحان سنة 2010 [2].

## 3.الإثنوغرافيا الكولونياليّة الفرنسية في الجزائر:

منذ نجاح الفرنسيين في طرد حكومة الداي حسين وتنصيب سلطتهم في البلاد عكفت الإدارة الفرنسية على حشد مجموعة من الضباط والمترجمين لدراسة المجتمع الجزائري، لتسهيل عملية اختراقه التي ستتم عبر مراحل كبرى، استهلتها بما عُرف بالاستكشاف العلمي للجزائر، بتدوين أعمال تاريخية وجغرافية تشرح للإداريين الفرنسيين أوضاع مختلف المناطق الجزائرية .

وكان من الطبيعي أن أخذ الاهتمام بماضي البلاد حيّزا كبيرا من أعمال هؤلاء الإداريين والعسكريين الفرنسيين، وإذا رجعنا لكتابات الكُتّاب الفرنسيين الأوائل الذين أرّخوا للجزائر بمختلف مناطقها وهم في الغالب من الضباط والإداريين أمثال بيربروجر **Berbrugger** وفيرو **Féraud** و ميرسيي **Mércier** وروبان **Robin** و آرنو **Arnaud** وإستهازي **Esterhazy** وغيرهم لوجدنا أن اهتماماتهم كانت منصبة على دراسة أخبار المرابطين والعلماء، وأحوال الأعيان وأنساب القبائل وتاريخ العائلات، وتاريخ المدن والأقاليم، و أصول القبائل الجزائرية، ودراسة أعرافها وعاداتها وتقاليدها والنبش في الماضي لإحياء الصراعات والنعرات القبلية بين الصفوف.

و كانت الكتابة عن هذه المواضيع تستدعي بالضرورة الاتصال بالأهالي لاستقاء الأخبار التاريخية منهم، وفي هذا الصدد بدأ الضباط الإداريون الفرنسيون حملة بحث واسعة عن المخطوطات التاريخية الجزائرية نظرا لأهميتها البالغة التي بدأت تتضح لهم شيئا فشيئا، وقام الكثير منهم بنشر هذه المخطوطات مترجمة للفرنسية في عدد من المجلات، بعد أن عرفوا قيمتها التاريخية الكبيرة كمصادر أساسية لتلك الفترة من تاريخ الجزائر، كما ساهم عدد منهم في حث بعض الجزائريين على كتابة تواريخ لمدنهم وعائلاتهم.

ورغم ما كانت تحمله هذه الكتابات الاثنوغرافية الفرنسية من شحنة استعمارية، وتزييف لبعض الحقائق وقراءة أحادية للأحداث، ورغم أن البعض قد يرى إن هذه الأعمال قد فقدت قيمتها اليوم في ظل ظهور الكتابات التاريخية الأكاديمية، وظهور وثائق محلية كثيرة، إلا أن من الإنصاف القول أن هذه الدراسات لا تزال تعد مصادر فريدة لدراسة التاريخ الجزائري، لاعتماد أغلبها على وثائق أصبحت اليوم في حكم المفقود، واعتمادها أيضا على الروايات الشفهية التي وثقها هؤلاء الكتاب وحفظوها بذلك من الضياع.

## 4. دور فيرو في عمليات اختراق الفضاء القبلي في الشرق الجزائري:

ركزت الدراسات الاستعمارية الفرنسية منذ بدايتها على القبيلة والصراعات بين الصفوف مبرزة أن الكيانات القبلية في تلك الفترة لا تحقق الالتحام الضروري للدفاع عن الذات إلا عند مجابهة خطر خارجي.[3]

[1] – ترجم الأستاذ محمد عبد الكريم الوافي الحوليات الليبية ونشرها في ثلاثة مجلدات (1، 348 صفحة، 2، 290 صفحة ، 3 ، 165 صفحة) وطبعها بدار الفرجاني بليبيا سنة 1973م.

[2] – بدأنا منذ فترة بترجمة عمله تاريخ سطيف، ونأمل أن ننهيه قريبا، ونضيف له بعض التعليقات المفيدة مع دراسة نقدية له.

[3] – محمد نجيب بوطالب : سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ط1، بيروت:2002، ص41-42.

إلا إن الاطلاع على أعمال الضابط شارل فيرو وهي في غالبيتها تخص قبائل الشرق الجزائري يكشف بوضوح الطرق والأساليب التي وظفتها الإدارة الفرنسية من أجل بسط نفوذها على أغلب مناطق الشرق الجزائري.

وقد زاوج فيرو في شخصيته بين المهام العسكرية على اعتباره ضابطا في الجيش الفرنسي، وبين المهام العلمية الاثنوغرافية باعتباره أحد رواد الدراسات التاريخية العسكرية في الجزائر.

و شكّلت أعماله في مجملها اختراقا لكامل الفضاء القبلي للشرق الجزائري الذي خضع تباعا للسيطرة الاستعمارية.

ولم يكن فيرو مستشرقًا بالمصطلح المعروف، ولكنه خدم ميدان الاستشراق بالترجمة ونشر النصوص وتولّيه رئاسة الجمعية التاريخية، فكان من المستعربين القلائل الذين اتصلوا بالمجتمع الجزائري، ودرسوا تراثه، ولكنهم وجهوا نتائج أبحاثهم إلى خدمة الاستعمار الفرنسي إلى أقصى الحدود.

لقد كان فيرو من العسكريين الذين استعملوا القلم أكثر من البندقية والفكر أكثر من الحرب، فكانت نتائج عمله أخطر على الشعب الجزائري من نتائج زملائه العسكريين.[1]

وكان فيرو شخصية محورية في تاريخ أحداث الجزائر الشرقية بالصحراء والتل على حد سواء، إذ كان له حضور معتبر في تاريخ احتلال فرنسا للشرق الجزائري، فقد كان شخصية جد قريبة من قادة الاحتلال في بجاية والقل وقسنطينة ومعظم الأحداث التي عرفتها البلاد الشرقية [2].

وفي هذا الإطار فقد سجلنا ملاحظات هامة عن ما يمكن تسميته بتصور فيرو لعملية الاختراق الفرنسي، هذا التصور الذي برز جليا في عدد من أعماله، وأسس هذا التصور هي كما يلي:

### 1.4 دراسة ماضي شيوخ القبائل والتركيز على أصلهم:

كانت عملية تدجين شيوخ القبائل ضمن أولويات السياسة الاستعمارية نظرا للدور الهام الذي ما فتئ هؤلاء يقومون به في ظل النظام البايليكي، والمكانة المتميزة التي كانوا يتمتعون بها لدرجة تشكيل مشيخات وراثية .

وفي هذا الصدد لاحظنا أن فيرو اهتم كثيرا بمعرفة أصل شيوخ عدد من قبائل الشرق الجزائري وتقديم روايات كثيرة عنها، فقد كتب عن أصل أسرة بن عاشور التي كانت تحكم منطقة فرجيوة يقول أن هناك روايات كثيرة منها أن أصلهم من الصحراء، على اعتبار أن اسم أحد ممثليها في العهد الفرنسي كان يسمى بوعكاز وهو اسم مشهور عند الدواودة بالزيبان، كما قدّم رواية أخرى تذكر الأصل اليهودي لهذه الأسرة، وأخيرا قال أن الرواية المتداولة في إقليم الشرق الجزائري تذكر أن أصل أسرة بن عاشور من واد الزناتي بقالمة، وأنهم نتيجة نزاع دموي هاجروا من تلك المنطقة وتوجهوا لفرجيوة. [3]

وقدم فيرو شجرة نسب أحد القياد وهو القايد الميهوب بن شنوف قايد بني سليمان بالزاب الشرقي وهي رواية غريبة تفيد بأنه ينحدر من جعفر البرمكي وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقدّم فيرو وثيقة عربية تفيد بتكفّل أهل الزاب بإيواء أحد أسلاف القايد المذكور لما فرّ من ظلم الترك[4] .

---

[1] – محمد الأمين بلغيث: الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية، ط2، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، الجزائر :2007، ص 18-19.

[2] –المرجع نفسه، ص 20.

[3] - L.Ch.Féraud :Ferdjioua et Zouagha, in R.A n°22 (1878) p 5-6.

[4] - L.Ch.Féraud : Les descendants d'un personnage des milles et une nuit en Algérie, in R.A n°19 (1875) p 13.

وفي منطقة سطيف التي عرفت في العهد العثماني بوطن عامر برزت عائلة من أصل تركي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة وهي عائلة "بن يلس" التي تولى أفرادها قيادة قبيلة عامر التي كانت تضم : عامر الظهرة وعامر القبلة وأولاد نابت.

وكان مؤسس هذه العائلة إنكشاري تركي يدعى "يلس" هذا الأخير كان قد توجه إلى حامية زمورة لإدارتها ومن هناك توجه إلى المسيلة التي استقر بها واقترن بامرأة من المنطقة تتمتع عائلتها ببعض النفوذ، وبعد ذلك عيين يلس من طرف باي قسنطينة قايدا على أولاد دراج[1].

ولما تطرق لقبيلة ريغة جنوب سطيف ذكر فيرو الرواية الشفهية التي كانت متداولة حول تأسيس هذه القبيلة والتي تذكر أن أحدهم ويدعى يحي بن مساهل كان قايدا لهذه القبيلة عقب الغزو الهلالي، و اعتبر يحي هذا نفسه من سلالة الحماديين، وحسب هذه الرواية فإنه استدعى إليه عائلات غريبة عن قبيلته ومنحها الأراضي.

و انتقلت السيادة من عائلة يحي إلى عائلة وادفل وهو الابن المتبنى لقائد فرقة أولاد محمد بن يحي، ولإرساء سلطته فإن وادفل بحث عن إنشاء نوع من المخزن شكّله من الأشخاص والفرق الأكثر تأثيرا، وأراد ربطهم بالسماح لهم باختيار أحسن الأراضي، وشيئا فشيئا وصل إلى جمع كل فرق ريغة تحت قيادته .

وذرية وادفل الذين مارسوا السلطة على كامل القبيلة هم على التوالي : قسوم و سعادة و مسعود وبوعبد الله و محمد بن قسوم و ساعد و مبارك.[2]

ويذكر فيرو عند تعرضه للدواودة أسياد الصحراء الشرقية أن أصلهم يعود إلى سيدنا داود، ثم يعود ويعتمد على ابن خلدون ويقول أن أصل الدواودة من رياح فهم ينحدرون من داود بن مرداس أحد قادة قبيلة رياح الكبرى[3].

وعندما تحدث عن أصل قبيلة الحنانشة قال إنهم كانوا يدينون باليهودية قبل الفتح الإسلامي، ودعم هذه الرواية بقوله إن أي فرد يريد إهانة رجل من الحنانشة يذكّره بأصله اليهودي عبر سلسلة نسب يوردها كما يلي : حنش بن فنش بن فلاش بن حباش بن شالوم اليهودي4 .

والغريب أن فيرو بعد هذه الروايات التي تطعن في نسب القبيلة يورد في آخر دراسته حولها شجرة نسبها كاملة حسبما هو متداول بين شيوخها وهو كما يلي : خالد الكبير بن ناصر بن عثمان بن علي بن بوبكر بن محمد بن ساعد بن جابر بن جابر بن ناصر بن عامر بن حنش بن عبد الله بن بن عمر بن الخطاب5.

كما قدّم فيرو رواية أخرى عن أصل القبيلة اعتمادا على ابن خلدون والمقري تفيد بأن الجد الأول قدم من اليمن زمن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، وهو معروف باسم حنش بن عبد الله الصنعاني6.

وقال عن بن قانة وذلك اعتمادا على مخطوط عائلي سلمه له بولخراص بن قانة أن أصلهم يعود للأندلس وهم ينسبون لجدهم محمود بن قانة ، كما أفاد بأن هناك فرعا من الأسرة يقيم بمنطقة زواوة7.

**2.4 العنوان الفرعي الثاني التعرف على أعراف القبائل وعاداتها لاستثمارها في المشروع الاستعماري:**

[1] - L.Ch.Féraud :Feraud : Histoire des villes, Sétif, in R. S.A.C (1872) p 86 .
[2] - Ibid, p 82.
[3] - L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1882) p 231.
[4] - L.Ch.Féraud :les Harar seigneurs des Hanencha,in R.A n°18 (1874) p 30.
[5] - Ibid, p 394.
[6] - Ibid, p 129.
[7] - L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1882) p 377.

العرف هو مجموعة القوانين الوضعية التي تسهر القبيلة على سنها من أجل تنظيم شؤونها الداخلية والخارجية، فهو نص قانوني ينظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية، ويحدّد الجرائم والعقوبات ويهدف لحل كل النزاعات.[1]

وقد أدركت الإدارة الفرنسية منذ فترة مبكرة أهمية الأعراف خصوصا لدى القبائل الأمازيغية، وهكذا وأثناء إحدى العمليات العسكرية ضد قبائل بني خطاب نواحي جيجل في 15 جوان 1860 رفقة الجنرال ديسيفاكس، للقضاء على ثورة اندلعت في جبل تافرطاس، عثر الجنود الفرنسيون في أحد كهوف المنطقة بجبل سيدي معروف على كوخ من الديس به ضريح سيدي معروف وبداخل الكوخ وجدوا أواني طينية مملوءة بالسمن والعسل وأكياس من جلود الغنم مملوءة بالحبوب والدقيق وفي إحدى الجوانب عثروا على ثياب قديمة بداخلها قصبة تحمل في جوفها ورقا ملفوفا ولما قدموا هذه الأوراق للضابط فيرو وجد أنها تحوي مجموعة من أعراف سكان المنطقة بعد أن كانوا يظنون أنها رسائل متبادلة بين الثوار.

وكتب فيرو في أحد مقالاته يقول :" إن سكان القبائل الشرقية –ويقصد بهم منطقة جيجل– لهم عادات وتقاليد، ومن المهم جدا لنا دراستها ومعرفتها جيدا."

وذكر أن هذه القبائل كانت في العهد العثماني تعيش في فوضى تامة، وهي مستقلة الواحدة عن الأخرى ولا تخضع إلا لسلطة الجماعة، وذكر أن الأتراك لم تكن لهم سيطرة على هذه المنطقة وأن أقصى ما كان بإمكانهم عمله هو القبض على أفراد من هؤلاء حين قدومهم للأسواق التي هي تحت سلطة البايلك، أو منعهم من العمل في المدن كبنائين أو عمال لدى الحضر.

وأشار فيرو اعتمادا على الوثائق التي عثر عليها أن سلطة القاضي كانت نسبية نتيجة فساد النظام القضائي فالفرد يلجأ أحيانا للقاضي ليعطيه سندا قانونيا لملكية إحدى أراضي الغير ولما يرفض ذلك القاضي يعود له نفس ذلك الشخص في الغد محمّلا بالنقود لإغراء القاضي ورصاصات في جيبه إشارة منه لإجبار القاضي على فعل ذلك العمل، ولا يجد القاضي من حل سوى الفرار من تلك القبائل.

وقد قام فيرو بنشر النص العربي لأعراف وعوايد قبائل زواغة وأراس وأولاد حلية وأولاد عيدون وبني خطاب وغيرهم، وهو نص سلّمه له قايد زواغة سي حمو بن علي و خوجة ملحقة الميلية بأولاد عيدون المدعو سي أحمد بن يوسف ، وكان هذان الموظفان قد حرّراها تحت إملاء قدماء الجماعة .

ويضم النص مجموعة من الأعراف المتعلقة بالحياة الاجتماعية وبعض المخالفات وعقوباتها كعقوبة السرقة والخيانة والقتل وغيرها.

كما نشر فيرو مقالين عن أعراف وعادات قبائل جيجل في الزواج وعند موت أحد الأشخاص، ودعّم المقالين المذكورين بنصوص باللهجة المحلية نشرها بالعربية مع ترجمتها للفرنسية.

وركز فيرو في دراسته عن منطقة جيجل على سلطة الجماعة في القبيلة على اعتبار أنها تحضى بالشرعية ولها سلطة تنفيذ قرارات الأعراف وأن القبائل لا تعترف بأي سلطة عداها[2].

ونلاحظ أن الإدارة الاستعمارية كان يهمها في هذه المرحلة التعرف على جميع عادات وتقاليد المجتمع الجزائري من أجل فهم الذهنيات والممارسات وتسهيل عملية الاختراق، وتم التركيز على الأعراف في المناطق البربرية لجعلها تحل محل الشريعة الإسلامية، وكل ذلك من أجل زيادة الهوة بين العنصرين العربي والبربري في البلاد.

### 3.4 دراسة تاريخ القبائل مع التركيز على الصراعات بين الصفوف والفرق لإثارة النعرات القبلية:

[1] – رحال بوبريك : زمن القبيلة : السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، ط1، دار أبي الرقراق، الرباط:2012، ص 69.

[2] - L.Ch.Féraud : Histoires des villes de la province de Constantine,Gigelil, in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1870, p 61.

قدّم فيرو دراسات هامة عن أهم القبائل بالشرق الجزائري، ففي دراسة مخصصة لقبيلة أولاد عبد النور مثلا التي أقام بين أهلها مدة خمسة أشهر استطاع من خلالها جمع كل الروايات الشفهية حول أصل القبيلة ومختلف الفرق المقيمة بها، وقد حرر هذا العمل كما قال تحت إحدى الخيام وقال إنه يأمل أن يكون عمله هذا مفيدا[1].

وركّز خلال عرضه للأحداث على الصراعات القبلية، فذكر النزاع الذي حصل قديما بين أولاد عبد النور وأولاد سعيد بن سلامة عند انتجاع أولاد عبد النور شتاء بالحضنة بمنطقة الجزار.

كما ذكر الصراع الذي جرى بين أولاد عبد النور وأولاد سلطان لسبب تافه هو سرقة شخص من أولاد سلطان لفرس من قبيلة أولاد عبد النور.

وذكر أن أولاد عبد النور قد عقدوا جملة من التحالفات مع قبائل ريغة بسطيف وبلزمة بالأوراس كما ربطوا علاقات مع المقرانيين.

وقال فيرو أن القبيلة قد اعتادت على حالة العصيان والتمرد في إشارة منه إلى كثرة الصراعات الداخلية والخارجية[2].

وفي دراسته عن المسيلة ذكر فيرو أن المنطقة كان بها عناصر إثنية هي العرب والبربر والأترك وأبناءهم الكراغلة، وذكر فيرو أن سكان المسيلة من عرب وبربر كانوا ينظرون باستياء للتواجد الكرغلي في المدينة[3] حيث كان الكراغلة يحظون بامتيازات هامة فهم ينتفعون بربع مياه واد القصب وكانوا معفيين من دفع الضرائب[4] .

وذكر أن الصراع كان محتدما بين مختلف المجموعات السكانية، وكانت كل مجموعة تعتزل المجموعات الأخرى، ويصل الأمر أحيانا أن تقوم إحدى المجموعات برفع أسوار من الطوب لصد مدخل حيه.

وفي دراسة له عن تبسة بموقعها القريب من إيالة تونس وعمق البايلك في حدوده الشرقية، ركّز فيرو على النزاع على الحدود بين الجارتين[5]، كما أن المدينة كانت تقع في منطقة تسيطر عليها قبيلة هامة هي "قبيلة النمامشة" وتسيطر المدينة كذلك على الطريق الذي تمر منه بكثرة تجارة قسنطينة مع تونس[6] .

وذكر أن منطقة تبسة قد عرفت في القرن السابع عشر صراعا داميا، وذلك أن عائلة "أولاد بلعربية" وهي العائلة الأكثر عراقة في المدينة – والتي ظلت محافظة على نفوذها المتفوق – قد انقسمت بسبب الخلافات الداخلية العنيفة، وتشكل صفان متصارعان، وأدت حدة الصراع بينهما أن قرر سكان المدينة استدعاء الأتراك فبعثوا وفدا للجزائر عام 1650 يطلبون من السلطة المركزية للإيالة إرسال قوة تركية تعمل على إعادة الأمور لنصابها وإيقاف حالة الصراع، وقد قبل ذلك المطلب[7] ووضعت نوبة في تبسة تحت قيادة آغا، وقد كانت هذه النوبة تتشكل من سفرتين وفرقة من البومباجية[8].

[1]-L.Ch.Féraud: Notice sur les Oulad-Abd-En-Nour, in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1864.

[2] - Ibid ,p171-175.

[3] - L.Ch.Feraud : Histoire des villes …, Msila, in R.S.A.C (1872), p 329.

[4]- Despois : opcit, p 354.

[5] - L.Ch.Feraud :Notes sur Tébessa, in R.A(1874) p 440.

[6]- Archives du cadastre de Constantine A.C.C :P.V n° 272, Tébessa, p 2 .

وقد لاحظنا أن المعلومات الواردة في السجل المخصص للمنطقة هي نفس المعلومات التي أوردها فيرو في المجلة الإفريقية وقد تكون بخطه هو.

[7] - L.Ch.Feraud :Notes sur Tébessa, in R.A(1874) p 440-441.

[8]- Castel, P : Tébessa : histoire et description d'un territoire algérien, t2, Paris ,Henry Parlin, 1903, p 68.

وفي دراسته لمنطقة سطيف أشار فيرو للدور الذي لعبته أسرة بن يلس بعد عام 1830 وذلك حين قام أحد أفرادها وهو صالح بن يلس بمرافقة الحاج أحمد باي للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الفرنسيين وقد جرح صالح في إحدى المعارك في اسطاولي، وكان شقيقه "بن هني" سجينا لدى أحمد باي ولكنه تمكن من الهرب والالتحاق بأخيه صالح لكنه ترك أحد أبنائه ويدعى "سي محمد" محتجزا عند الباي[1].

ولم تمض فترة طويلة على هذه الأحداث حتى قدم أحمد باي إلى المنطقة على رأس فرقة عسكرية صغيرة لمعاقبة أولاد الشيخ ساعد بريغة، ولكنه هزم ووجد نفسه مطوقا في منطقة "الحمام" وأمام وضعه الحرج هذا خطرت له فكرة استدعاء صالح بن يلس لمؤازراته، ولم يتأخر صالح في تلبية النداء ونجح في تخليص أحمد باي، ولكن هذا الأخير عوضا عن مكافأة بن يلس قام بقطع رأس "سي محمد" المحتجز لديه مما آثار سخط كل العائلة التي لجأت لتحالف مع أعداء الباي (أولاد الشيخ سعد) وتوجه الجميع بقواتهم إلى قسنطينة، ولكن ما إن وصلت هذه القوات إلى أراضي قبيلة أولاد عبد النور حتى قررت قبيلة عامر التخلي عن قائدها صالح بن يلس الذي وجد نفسه وحيدا ولم يبق معه إلا أولاد الشيخ ساعد وأولاد زيد، ووجد بن يلس أنه أضعف من أن يواجه الباي فقرر اللجوء إلى الحضنة مع عائلته وأولاد الشيخ ساعد[2].

وكانت أسرة بن يلس تربطها علاقة مصاهرة مع أسرة المقراني "أسياد مجانة، وذالك أن صالح بن يلس تزوج من ابنة "بن القندوز المقراني"[3] و أتت هذه المصاهرة بثمارها كما ذكر ميرسيي حين عقدت الأسرتان حلفا ضد الحاج أحمد باي الذي رغب في فرض سلطة مطلقة على القبائل، ولكن ذلك الحلف فشل في تحقيق أهدافه وسرعان ما برز الحاج أحمد باي كسيد مطلق ووحيد على كامل الإقليم الشرقي للإيالة[4] .

ولما كتب عن قبيلة ريغة جنوب سطيف ذكر الصراعات التي دارت بينهما وتشجيع البايلك كل مرة لصف على حساب الصف الآخر لإضعاف القبيلة[5].

وعندما كتب عن تاريخ عين البيضاء جنوب قسنطينة ذكر فيرو أن شيوخ قرفة من بن مراد كانوا يغيرون على الحراكتة للاستيلاء على مناطق رعيهم لكن الحراكتة انتصروا عليهم في تاملوكة، وصد الحراكتة أيضا هجمات النمامشة الذين أرادوا سلب مزروعاتهم في ضواحي تافرانت[6].

وفي دراسة له عن تاريخ القالة بالحدود الشرقية ذكر فيرو الصراع القبلي الذي ساد بين مختلف القبائل بعد تراجع نفوذ الشابية منذ القرن 16 م، وذكر التباين بين قبيلتي النهاد والخمير هذه الأخيرة التي تعيش كما قال في بؤس كبير مما جعلها تغير أحيانا على القبائل المجاورة لتضمن عيشها.

وقال فيرو إن أفراد هذه القبيلة يفضّلون حياة البؤس مع الاستقلال، كما أن أهم مكسب عندهم يُخلّفه الآباء للأبناء هو البندقية، ووصف فيرو هذه القبيلة بالعدوانية[7] كما وصف سكان هذه القبائل بأنهم هزيلون وضعفاء ومغبرون والقذارة تملأ ملابسهم، وقال أن حالة التوحش هذه لا تزال تلقي بظلالها على عدد من القبائل[1].

[1] -Ibid, p 87.
[2] - Ibid, 88-89 .
[3] -L.Ch.Feraud : Notice sur les Oulad Abdenour, p 183.
[4] - Mercier, E : Histoire de Constantine, imp Jérome Marle et F. Biron, Constantine 1903 p 340.
[5] -L.Ch.Féraud : Histoire des ville de la province de Constantine : Setif, in in R.S.A.C (1872), p 83.
[6] -L.Ch.Feraud :Ain Beida,in R.A n°16(1872) p405-410
[7] -L.Ch.Féraud : Histoire des ville de la province de Constantine :La Calle et documents pour servir a l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique, Alger,Typ de l'association ouvrière V.Aillaud et Cie 1877,p 32-35.

ولما كتب عن تاريخ قبائل نواحي قسنطينة ذكر فيرو النزاعات التي دارت بين قبائل التلاغمة واولاد عبد النور، وذكر الحملة التي شنها عليهم الباي حسين بوكمية بمؤازرة أولاد عبد النور الطامعين في الحصول على الغنائم، لكنهم هزموا وفقدوا المئات من فرسانهم كما ذكر فيرو[2].

كما ذكر المؤامرة التي دبّرها التلاغمة للقايد الذي كان يحكمهم سنة 1808 وهو القايد الطيب بن الحاج الذي أحرقوه رغم التجائه إلى إحدى الزوايا، مما جعل باي قسنطينة ينتقم بقتل 50 فارسا من فرسانهم.

كما جمع فيرو بعض الروايات الشفهية من قدماء قبيلة السقنية، وهي روايات تذكر الحروب المتكررة التي خاضتها القبيلة ضد جيرانها، ففي عام 1808 شنّ الباي طوبال حملة ضدهم لممارستهم قطع الطريق وسرقتهم قطيعا من الجمال تعود ملكيته للبايلك.

و ذكر نزاعا قام بين السقنية والسحاري بسبب قيام السحاري بسلب قطعان السقنية، كما قال أن القبيلة اعتادت على أعمال اللصوصية وقطع الطريق، ولم تفلح محاولات البايات المتكررة لردها لجادة الصواب[3].

### 4.4 الاهتمام بتاريخ الأولياء والمرابطين وتوضيح مكانتهم في المجتمع الجزائري:

كتب فيرو في إحدى دراساته يقول:" منذ بداية احتلالنا للجزائر لم نجد شعبا أكثر تعصبا من هذا الشعب..."[4] وهو يشير بذلك إلى المقاومات التي تزعم أغلبها رجال الزوايا والطرق الصوفية.

ولذلك ركّز عند حديثه عن تاريخ القبائل على مكانة الأولياء والمرابطين، ودورهم في المجتمع لمعرفة طرق التغلغل داخل هذه القبائل باستثمار نفوذ عدد من شيوخ الزوايا الذي اختاروا وضع السلاح والانحياز لصف الفرنسيين.

ذكر فيرو في دراسته عن بجاية أن العلاقات السائدة بين أتراك النوبة و قبائل بجاية كانت سيئة لدرجة أن الجنود الأتراك لم يكونوا يخرجون من حصونهم إلا للتسوق في سوق المدينة يوم الخميس، ولولا سلطة المرابط "الشيخ عبد القادر" الذي كان يحظى باحترام وتقدير الأتراك والسكان المحليين لقامت نزاعات عديدة بين الطرفين.[5]

وعند تعرضه للشيخ محمد العيد التماسيني شيخ الطريقة التيجانية قال إن نفوذه كبير بكامل الصحراء، وكان ذلك المرابط قد أعلن ولاءه للفرنسيين حين قدموا للمنطقة، واستفادت منه الإدارة الفرنسية في عملية ضم باقي المناطق الصحراوية لنفوذها.[6]

وذكر أن المرابط سيدي محمد بن يحي من أولاد عبد النور كان يؤيد الأتراك، وكان الأهالي ينسبون له تأييده للأتراك وتخليه عن العرب، وذلك لقوة الأتراك وضعف قوة القبائل العربية وكان يقصد الصخارة من الدواودة.[7]

ولاحظ فيرو المكانة المعتبرة التي تمتعت بها ذرية المرابط سيدي محمد بن يحي بأولاد عبد النور وقال إن جدهم قد أقام عند الدواودة الذين حاولوا فرض الضريبة عليه، لكنه أظهر إحدى الكرامات التي تَوجَّب على الدواودة بعدها معاملته باحترام كبير، وصارت تُقدّم له الهدايا.[8]

---

[1] - Ibid, p 35-36.
[2] -L.Ch.Féraud : Notes historiques sur les tribus de de la province de Constantine , in in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1869,p 8.
[3] - Ibid,, p 11-12
[4]-L.Ch.Feraud :Kitab el Adouani ou le Sahara de Constantine et du Tunis, Constantine,L.Arnolet libraire-éditeur 1868,p 4.
[5] -L.Ch.Feraud : Histoire des villes, Bougie, p 293.
[6] - L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1882) p 116.
[7] - Ibid, p 370.
[8] -L.Ch.Féraud: Notice sur les Oulad-Abd-En-Nour, p 203-205.

كما ذكر النفوذ الذي تمتعت به إحدى الأسر الشريفة بالقبيلة وهي أسرة أولاد العزام التي أطلعه أفرادها على عدد من الظهائر التي تعفيهم من دفع الضريبة، ويعود أحد الظهائر لسنة 1004 هـ/ 1600 م وهو صادر من شيوخ بسكرة وريغة ونقاوس والمسيلة.[1]

وذكر الامتيازات التي تمتعت به زاوية معمرة التي تسيّرها أسرة سيدي محمد بن يحي، فهي تمتلك أراضي وقفية شاسعة ولديها منافع السوق التي تقام بالمنطقة يومي الإثنين والخميس، وكانت السلطة تقدّم لها بعض الهدايا فقد كان الباي يقدم بغلة هدية عند مروره بأراضيها لأداء الدنوش ليحصل على رضا مرابطي الزاوية، كما يقدم قايد الدار قفطانا وسروالا لشيخها، ويقدم شيخ العرب فرسا، وشيخ الأوراس فرسا كذلك، وقبيلة الزمول حصيرا يدعى القطيف، و كذلك شيخ التلاغمة، ويقدم أولاد داود الأغنام.[2]

كما ذكر أن المرابط سيدي أحمد الزواوي من نواحي قسنطينة كان له نفوذ كبير، وأنه تنبأ بمولد الباي الحاج أحمد، وأنه سيحكم ويتقوى نفوذه.[3]

ولاحظ فيرو المكانة المتميزة التي كان يحضى بها الولي بو وكس لدى قبيلة الحنانشة، وأنهم كانوا معفيين من دفع الضريبة للأتراك بسبب إيمانهم بأن ذلك الولي أمرهم بعدم دفعها، ويقدّم رواية غريبة مفادها أن الموظف التركي المكلف بجمع الضريبة لما يقدم عليهم يصحبونه إلى الكهف المدفون به سيدي بو وكس وينادون بأعلى صوتهم : "يا جدنا سيدي بو وكس نغرموا وإلا ما نغرموشي" فيرد الصدى العبارة الأخيرة " ما نغرموشي" فيمتثلون حسب زعمهم لرغبة الولي[4].

وفي دراسة له عن غابات الخراستة بنواحي جيجل أشار فيرو للمكانة الهامة التي كان يتمتع بها المرابط المكي من آل سيدي محمد أمقران ، ونشر فيرو ظهيرا من الداي علي باشا عام 1168 هـ يعطيه الحق في الحصانة من تعديات العسكر، وهذا نتيجة لدور أفراد أسرته في تنصيب الحكم التركي بتلك المناطق[5].

كما خصّص فيرو مقالا آخر لمرابط ميلة الزبوجي الذي كان على خلاف مع الباي عصمان باي وأورد فيرو بعض أقوال هذا المرابط التي تتنبأ بسقوط الجزائر بيد الفرنسيين وخراب البلاد نتيجة المعارك بين "المسلمين والنصارى" [6].

وأورد فيرو في دراسته عن جيجل ترجمة لمرابط ميلة سيدي بويحي المعروف ببومائة ناقة اعتمادا على تقييد مخطوط به ترجمة للمرابط سلمه له وكيل زاوية سيدي بويحي[7].

كما ذكر المكانة المعتبرة التي كان يتمتع بها الولي سيدي وشناك حتى أن الأهالي كانوا يقدمون له الوعدة وذكر النص العربي الذي قدمه له أحد المرابطين للنذر الذي كانوا يقدمونه لضريح ذلك الولي وهو كالتالي:

يا سيدي وشناك أنا ماشي للقبلة في حماك

إذا رجعت على خير وعافية نعطيك الوعدة

خبيزة دي بومعراف واحد الشميعة وزوج سوردي دي الجاوي[8].

---

[1] -Ibid,p 222.
[2] -Ibid,p 221.
[3] - L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1883) p 333.
[4] - L.Ch.Féraud :les Harar seigneurs des Hanencha,in R.A n°18 (1874) p 194.
[5] - L.Ch.Féraud : Exploration des forets de la Karasta dans la kabilie orientale in R.A n°13 (1869) p 38
[6] - L.Ch.Féraud : Zebouji et Osman bey ,in R.A n° 6 (1862) p121.
[7]- L.Ch.Féraud : Histoires des villes de la province de Constantine,Gigelil,in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1870, p 64.
[8]-Ibid, p 37-38.

و ذكر فيرو أن بعض الزوايا كانت محطة تحكيم بين القبائل والقياد، كما كان شأن زاوية مغالسة التي اشترطت قبيلة التلاغمة على قايدها الذهاب إليها حتى يتم التفاهم بين الطرفين.

وذكر فيرو تدخل أحد المرابطين وهو سي سليمان في النزاع الذي حدث بين أولاد بلقاسم والقراشة من أولاد عبد النور على المرج المعروف بمرج حريز حيث ادعت كل فرقة ملكيتها للمرج ولولا تدخل المرابط وتموضعه وسط المرج لتقسيمه بينهما لحدثت الحرب بين الفرقتين[1].

**5.4 دراسة الأملاك الزراعية للقبائل وأهم الطرق والمسالك وموارد المياه بها لتسهيل عملية الاستيطان الأوروبي:**

كان فيرو في دراساته للقبائل يركّز كثيرا على أملاكها الزراعية وخصوصا ما كان يعرف بأراض العزل وهي من أجود الأراضي في ظل النظام البايليكي.

فقد ذكر عن قبيلة أولاد عبد النور أن المساحات الزراعية بها تفوق 200 ألف هكتار وهي في غالبيتها أراضي زراعية جيدة[2] ويشكل عزل معمرة بالقبيلة مساحة تقدر بـ 2300 هكتار[3].

كما خصص حيزا من دراسته لما كان يعرف بعقد البايلك، وهو عبارة عن مساحات كانت مخصصة لرعي قطعان البايلك تقدر مساحتها بـ 25 ألف هكتار اقتطعت من أراضي قبيلة أولاد عبد النور وقبيلة البرانية والتلاغمة والزمول ، وكانت هذه الأراضي تخضع لسلطة موظف يعرف بقايد العزيب[4].

وركز على طرق المواصلات بالقبيلة، وقال إن أهمها تلك المعروفة بالطريق السلطانية، وهي معروفة منذ القديم عند العرب، وهي الطريق التي يسلكها بايات قسنطينة عند ذهابهم لأداء الدنوش لباشا الجزائر، وقال إن هذه الطريق تخترق في الغرب قسما من الصراوات مرورا بكاف تازروت وقصر بني نيلان وذراع طوبال وجامع سيدي علي المكسي[5].

كما ذكر موارد القبيلة من غابات و مياه، وذكر عدد امن الآبار منها: بئر أولاد خلوف وبيار الطاية وهي خمسة، وبئر تاورة ولئر الخربة وبئر انشير العطش، كما ذكر المياه الساخنة الموجودة بالمنطقة المعروفة بالسخنة[6] وذكر كذلك تجارة القبيلة وأهم المصنوعات بها وهي : صناعة الزربية والقطيف والحنبل والمطرح.[7]

وفي دراسة له بعنوان :" بين سطيف وبسكرة " ذكر فيرو أهم المحطات التي سلكها، فقد انطلق من سطيف يوم 16 سبتمبر 1859 مارا بعين ملول جنوبا وبير حدادة وخربة حمية وخربة المكي وعين آزال وعين قيقيبة، وهناك عرج على القايد سي المختار، ثم نقاوس وبريكة ومقطع الحجر والدفيلة والوطاية وأخيرا بسكرة التي وصلها يوم 20 سبتمبر 1859 ، وقطع فيرو بذلك مسافة 205 كلم عوض قطع 168 كلم بسبب تغيير مسار رحلته التي كانت كلها تقريبا نحو الجنوب، وكان فيرو برفقة الجنرال المكلف بتفتيش جميع هذه المناطق.[8]

---

[1] -L.Ch.Féraud : Notes historiques sur les tribus de de la province de Constantine , in in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1869,p 11.
[2] -L.Ch.Féraud: Notice sur les Oulad-Abd-En-Nour,p 137.
[3] - Ibid ,p 221.
[4] -Ibid ,p 250.
[5] -Ibid,p 143- 146.
[6] -Ibid, ,p 150-151.
[7] - Ibid, p.269
[8]- L.Ch.Féraud : Entre Sétif et Biskra, in R.A1859-1860 p 18

وخلال هذه الرحلة قام فيرو بجمع الكتابات الحجرية الرومانية من المناطق التي زارها كما سجّل الكتابة الموجودة على شاهد أحد قبور الأولياء بمنطقة نقاوس وهو الشيخ المبارك بن أبي الفضل سيدي قاسم.

وفي دراسته لبلاد سوف ذكر فيرو بعض ثرواتها الزراعية، وعلى رأسها النخيل الذي قال أن عدده يقر بحوالي 150 ألف نخلة، مما يشكل ثروة تقدر بحوالي 2 مليون فرنك فرنسي، كما ذكر اهتمام أهل سوف بزراعة التبغ، وعليه طلب كبير في الصحراء وحتى في التل، ويزرع الكيف أيضا والكتان والقطن بكمية متواضعة، كما تزرع بعض الأشجار المثمرة كالتين والمشمش والرمان وهي بنوعية متواضعة أيضا.[1]

وأشار فيرو إلى أهمية قبيلة الحراكتة جنوب قسنطينة وغناها بالمراعي الخصبة الأمر الذي جعل بايات قسنطينة يعمدون إلى منح قيادتها لأبنائهم وصارت قبيلة مخزنية تدعى العواسي نسبة للجد الأول عيسى الذي تنسب له القبيلة.[2]

كما لاحظ فيرو شساعة الأراضي التي تمتلكها قبيلة الحنانشة وهم سادة المنطقة الحدودية الشرقية الذين كان يمتد سلطانهم على القبائل والمناطق الآتية: القالة وكامل الناضور والماهون والنبايل وقالمة وسوق أهراس بكاملها وتبسة والقسم الشرقي من الأوراس وما وراء الحدود التونسية ليشمل قبائل الخمير وورغة وشارن وأولاد بوغانم والفراشيش وكل المنطقة الجنوبية من الزيبان وحتى نفطة، ولكن نتيجة عدد من الصراعات القبلية تقلص نفوذ القبيلة وقلّت بالتالي مساحة الأراضي التي تمتلكها.

واقترح فيرو في إحدى دراساته سنة 1857 إقامة ملاحة نهرية في واد الصومام لربط سطيف بالبحر، وكان قد استكشف ذلك الوادي في رحلة له مع القائد الأعلى لبجاية السيد Augeraud وشخصين مالطيين والمترجم القبائلي سيد أحمد خاطري ، وعرف المناطق التي يخترقها، ووضّح المنافع الاقتصادية من ذلك المشروع لو تبنته السلطات.[3]

### 6.4 تقديم رموز المقاومة في صورة سلبية:

في دراسته حول منطقة سطيف تعرّض فيرو لمقاومة الشيخ سعد التباني من أولاد تبان بريغة الظهارة جنوب سطيف، وقال عنه إنه كان من أنصار الثائر مولاي محمد أحد أعوان الأمير عبد القادر، وقد قاد الثورة في نواحي أولاد تبان وبوطالب وكان قد تلقى العلم في بعض مساجد قسنطينة.

وذكر فيرو أن ساعد التباني ظهرت شخصيته بعد رجوعه لموطنه ببوطالب وجلبت دعوته أنصارا كثيرين من القرى المجاورة ومن سكان الحضنة، وقال إن ساعد التباني كان يرى رؤى غريبة كانت تقوده لتنفيذ مهمة سامية وهذا ما جعل الناس يلتفون حوله كما قال.

ولكن فيرو قال إن هذه ما هي إلا أكاذيب مزعومة، ثم تتبع مسار ذلك الثائر وركز كثيرا على دور العوامل المناخية –الثلوج– في هزيمة الجيش الفرنسي بجبال بوطالب مهملا دور مقاومة سي ساعد التباني، ومقللا من دورها رغم أن الخسائر الفرنسيين في الرجال بلغت حوالي 200 جندي كما ذكر هو.[4]

وقال فيرو عن الحاج أحمد باي أنه كان يبحث مع الثائر الشريف مولاي محمد عن إثارة الفتن بين القبائل ولكنهما لم يحصلا كما قال على أي نتيجة وظلت أغلب القبائل في حالة استقرار.

كما ذكر أن الصدّيق بن المخناش الذي قاد المقاومة ضد الفرنسيين بأولاد عبد النور كان يبحث فقط عن منصب قايد، وإزاحة القايد الذي اختارته السلطات الفرنسية.[5]

---

[1] - L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1882) p 43-45.
[2] -L.Ch.Feraud :Ain Beida,in R.A n°16(1872) p 410.
[3] -L.Ch.Feraud :Canalisation de la Soummam et du Bou Sellam, in R.A n°2 (1857-1858) P 322.
[4] -L.Ch.Féraud : Histoire des ville de la province de Constantine : Setif, in in R.S.A.C (1872), p 110.
[5] -L.Ch.Féraud: Notice sur les Oulad-Abd-En-Nour,p 196-198.

## 5 . خاتمة:

وفي الختام فإن أعمال الضابط شارل فيرو شكّلت ركيزة هامة اتكأت عليها الإدارة الكولونيالية لتقويض البنى القبلية بالشرق الجزائري، وتوسيع نفوذها، بعد أن وفرت لها تلك الأعمال رصيدا وثائقيا ضخما للتعرف على المجتمع الجزائري، بخصوصياته، وتركيبته، ودراسة ذهنياته وأعرافه، والولوج إلى أعماقه، بعد أن نخرته الصراعات القبلية والعشائرية التي كانت الإدارة الفرنسية تغذيها باستمرار، وجعلت منها أحد المعالم البارزة لسياستها في الجزائر.

## 6. قائمة المراجع:


- المؤلفات:

بالعربية:

– رحال بوبريك : زمن القبيلة : السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، ط1، دار أبي الرقراق، الرباط: 2012 .

– محمد الأمين بلغيث: الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية، ط2، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، الجزائر :2007.

– محمد نجيب بوطالب : سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ط1، بيروت:2002.

بالفرنسية:

*- Nora Lafi : Présentation des annales tripolitaine, édition Bouchéne, Paris 2005.*
*- Mohamed A. El-Wafi : Charles Féraud et la Libye, ou portrait d'un Consul de France à Tripoli au XIXe siècle (1876-1884), ed. Dar al-Farjani, Tripoli, 1977.*
*- Bernard Merlin : Laurent-Charles Féraud, peintre et témoin de la conquête de l'Algérie, Editions Monelle Hayot, 2010, .*
*-M. El wafi, ouvrages, écrits et articles de Laurent Charles Féraud ( Charles Féraud et la Libye) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIXe siècle ( 1876-1884) Imprimé par Interprint ( Malta) Ltd , Malte. 1977.*

- المقالات:

بالفرنسية:

*- Archives du cadastre de Constantine A.C.C :P.V n° 272, Tébessa.*
*- Bulletin de l'académie d' Hippone, année 1883.*
*- Castel, P : Tébessa : histoire et description d'un territoire algérien, t2, Paris ,Henry Parlin, 1903.*

*- L. Paysant :Un Président de la Société Historique algérienne: Laurent Charles Féraud, in Revue Africaine, Tome LV - n° 280, 1er trimestre 1911 .*
*- L.Ch.Féraud : Entre Sétif et Biskra, in R.A1859-1860 p 18*
*- L.Ch.Féraud : Exploration des forets de la Karasta dans la kabilie orientale in R.A n°13 (1869) .*
*- L.Ch.Feraud : Histoire des villes …, Msila, in R.S.A.C (1872).*
*- L.Ch.Féraud : Histoires des villes de la province de Constantine,Gigelil, in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1870.*
*- L.Ch.Féraud : Les descendants d'un personnage des milles et une nuit en Algérie, in R.A n°19 (1875) .*
*- L.Ch.Féraud : Zebouji et Osman bey ,in R.A n° 6 (1862).*
*- L.Ch.Féraud :Les Ben Djellab sultan du Tougourt,in R.A n°26 (1882) .*
*- L.Ch.Féraud :les Harar seigneurs des Hanencha,in R.A n°18 (1874).*
*- L.Ch.Feraud :Notes sur Tébessa, in R.A(1874) .*
*- Mercier, E : Histoire de Constantine, imp Jérome Marle et F. Biron, Constantine 1903 .*
*-L.Ch.Féraud : Histoire des ville de la province de Constantine : Setif, in in R.S.A.C (1872).*
*-L.Ch.Féraud : Histoire des ville de la province de Constantine :La Calle et documents pour servir a l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique, Alger,Typ de l'association ouvrière V.Aillaud et Cie 1877.*
*-L.Ch.Féraud : Notes historiques sur les tribus de de la province de Constantine , in in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1869.*
*-L.Ch.Féraud : Notes historiques sur les tribus de de la province de Constantine , in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1869.*
*-L.Ch.Feraud :Ain Beida,in R.A n°16(1872) .*
*-L.Ch.Feraud :Canalisation de la Soummam et du Bou Sellam, in R.A n°2 (1857-1858) .*
*L.Ch.Féraud :Ferdjioua et Zouagha, in R.A n°22 (1878) .*
*-L.Ch.Feraud :Kitab el Adouani ou le Sahara de Constantine et du Tunis, Constantine,L.Arnolet libraire-éditeur 1868.*
*-L.Ch.Féraud: Notice sur les Oulad-Abd-En-Nour, in Recueil de la Société Archéologique de la province de Constantine 1864.*